اكتشف نفسك في شهر رمضان الكريم

هل حاولت أن تكتشف نفسك في رمضان؟ حيث يعتبر شهر رمضان الكريم من الشهور الكاشفة لمن يريد أن يعرف نفسه، ذلك أن كثيرا من الناس يصاب بداء " التيه"، فهو لا يقف عند حقيقة نفسه، وإن عرف منها شيئا، فقد غابت عنه أشياء، فيأتي رمضان كاشفا عن تلك النفس بعد أن تصفد الشياطين ومردة الجان، فتظهر النفس على حقيقتها، فأيما ذنب أحبته نفسك ورأيتها تحبه حتى في رمضان، فهذا ليس وسوسة من الشيطان، إنما هو من خبيث النفس.فاكتشف نفسك في شهر رمضان.

من العلامات الفارقة بين وساوس الشيطان وغلبة الهوى والنفس أن الشيطان يجعلك تحب كل معصية، فيوسوس لك غالب المعاصي حتى تقع فيها، وأما النفس، فهي تريد المعصية التي تحبها وتديم عليها، فهي تميل إلى نوع أو أنواع بعينها من المعاصي فتلك النفس الأمارة بالسوء، فغالب الناس نفسه تأمره بالسوء لحبها له، كما قال تعالى: {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ } [يوسف: 53]، فكثير من النفوس البشرية تأمر أصحابها بالمعصية دائما، وهناك نفوس حفظها الله تعالى بحفظه، ووفقها لطاعته، فهي لا تأمر صاحبها إلا بالخير والطاعة، ولكنها مقارنة بالأمارة أقل.

كثير من النفوس البشرية تأمر أصحابها بالمعصية دائما، وهناك نفوس حفظها الله تعالى بحفظه، ووفقها لطاعته، فهي لا تأمر صاحبها إلا بالخير والطاعة، ولكنها مقارنة بالأمارة أقل

والوقوف على استمرار المسلم في ارتكاب المعاصي في رمضان الكريم يُفهمه نفسَه، وأنه يجب أن يجاهدها بالخوف من عذاب الله تعالى، والحرص عليها والحب لها من أن ينالها العذاب الشديد، وأن يطمعها في جنة الله تعالى، كما قال سبحانه: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} [النازعات: 40، 41]، فإذا جاهدها هداها الله تعالى الصراط المستقيم، كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: 69]، فحينئذ تصل نفسه إلى أن تكون في رتبة النفس المطمئنة التي يخاطبها الله تعالى بقوله: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ .ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي} [الفجر: 27 – 30].

فارقب قلبك عند القرآن، فإن وجدت فيه نشاطا في رمضان وإقبالا عليه، فقلبك تجاه القرآن سليم، وإن رأيته معرضا عنه؛ فأنت بحاجة إلى مداواة قلبك.

وارقب قلبك عند الصلاة وقيام الليل، فإن سهل عليك قيام الليل والصلاة؛ فقلبك سليم، ونفسك صالحة، وإن ثقل عليك؛ فاعلم أن نفسك مريضة أمارة بالسوء تحتاج إلى مداواة.

و حتى نلم بفرضية اكتشف نفسك في شهر رمضان، نجدأن شهر رمضان الكريم شهر كاشف لضعف النفس البشرية، فإنه – في ذات الوقت- كاشف للطاقات الكامنة في تلك النفس، وقدرتها على الإنجاز والعمل الصالح، فكثير من الناس لم يكن يقدر على الصيام في غير رمضان، وإن سألته: لم لا تصوم النوافل؟ كانت إجابته: أنا لا أستطيع، لكنه في رمضان وجد الصيام سهلا يسيرا، استطاعته ثلاثين يوما متتاليا، وهي نتيجة يصعب أن يجربها في غير رمضان، وهذا يعني أن رمضان كشف له عن قدرة نفسه في الصيام.

وكثير من الناس لم يكن يستطيع أن يقرأ جزءا من القرآن كل يوم، فإذا به في رمضان يختم القرآن مرة أو مرتين أو أكثر، وهذا اكتشاف للطاقات الكامنة في النفس البشرية.

وإن كثيرا من الناس لم يركع ركعتين في جوف الليل في غير رمضان، فإذا به يصلي التراويح والتهجد، مما يكشف له مكنون نفسه القادرة على إنجاز الأعمال.

إن من أعظم ما في رمضان هو أنه يبين لك حقيقة نفسك قوة وضعفا، قدرة وتكاسلا، ليعالج كثيرا من الأوهام التي تصيب نفوسنا، بأننا غير قادرين، فنقبل على نفوسنا ونحن عالمون بحالها، قادرين على قيادتها لما فيه فلاح الدنيا والآخرة، من تحقيق الأهداف، والوصول إلى ما نصبو إليه، بتلك القيادة الحكيمة للنفس البشرية، وسر المعرفة لتلك النفس هو رمضان، تلك المعرفة التي تجعل المرء عابدا لله تعالى لا عابدا لرمضان، فيتدرب فيه على الصيام والقيام والمحافظة على الصلوات في جماعة، وعلى البر والإحسان، وعلى مراقبة الله تعالى، فيتزود منه طيلة العام بعد أن وقف على مكنون نفسه وجوهرها، فتستقيم النفس كما أمرها الله تعالى، حتى تكون نفسا مطمئنة بذكر الله تعالى وطاعته، لا أن تكون نفسا أمارة بالسوء لصاحبها فتورده المهالك.

أعظم ما في رمضان هو أنه يبين لك حقيقة نفسك قوة وضعفا، قدرة وتكاسلا، ليعالج كثيرا من الأوهام التي تصيب نفوسنا، بأننا غير قادرين

إن رمضان دورة تدريبية لاستكشاف النفس وطاقاته الهائلة التي لا نستخدم منها إلا النذر اليسير، فرمضان يبين أسرار الله تعالى في النفس البشرية، وكم هي قادرة على العطاء والبذل، وليجتهد المسلم أن يكون هذا العطاء والبذل إما في واجب من الواجبات، أو في أمور مستحبة، أو على أقل تقدير أن يكون في أمور مباحة شرعا، فيكون المسلم منشغلا بما ينفع نفسه في دين أو دنياه..

كما يعلمنا رمضان الابتعاد عن سفاسف الأمور، فإن من ترك الطعام والشراب والجماع الذي هو في أصله مباح، هو قادر على أن يترك كل صنوف الحرام، وهو من أهم دروس رمضان أنه يعلم المسلم التقوى، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 183]، والتقوى هي فعل ما أمر الله واجتناب ما نهى عنه، ولكن المسلم في رمضان يصل إلى درجة أعلى وهو ترك ما أصله مباح في النهار، فيسهل عليه ترك الحرام...

لماذا نقول: اكتشف نفسك في شهر رمضان، لأن رمضان – ببساطة – مدرسة لاستكشاف طاقات الإنسان التي لا تنتهي، وعلى المسلم أن يستفيد من هذا الشهر في معرفة نفسه، فإن من عرف نفسه؛ كان قادرا على أن يسوسها نحو خيرها في الدنيا والآخرة.